العدد(1425) السنة السادسة -الثلاثاء (3) شباط 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

المراسلون الصحفيون الأجانب والحرب الاهلية

الكتاب: رأينا اسبانيا تموت

تأليف: بول بريستون

ترجمة: ابتسام عبد الله

اعتبر معظم المراقبين الحرب الاهلية الاسبانية بروفة للحرب العالمية الثانية، فانقلاب الجنرال فرانكو ضد الحكومة المنتخبة شرعيا عام ١٩٣٦ بدا جزءاً من صراع عالمي بين الفاشية والديمقراطية.

المراسلون الصحفيون الذين غطوا الصراع الاسباني كانوا غالبا ما يتشاجرون ويختلفون فيما بينهم عما هو حقيقي في التقارير التي ترسل من قبلهم، واصبحوا منخرطين فيما اطلق عليه الطرفان بالحملة الصليبية، وكما كتب احدهم انهم لم يكونوا شهوداً حقيقيين في تلك الفظائع التي جرت في الحرب.

وبالنسبة للمراسلين على الجانب الجمهوري فقد كانوا منبهرين بمقاومة مدريد، وبكلمات الصحفي الامريكي المعروف هيربت ماثيوز، الدراما، الاثارة، التفاؤل، روح القتال الشجاعة الصابرة لاؤلئك الناس الرائعين، تلك كانت اموراً تستحق ان يعيش المرء من اجلها ورؤيتها بعينه، وحتى ذلك المتخم المستأجر سيفتون ديلمر، الذي فضل المتمردين اليمنيين، انبهر بشجاعة سكان مدريد الذين ابوا الاستسلام.

كان ديلمر وزملاؤه عند الخطوط الامامية، استقر اغلبهم في فندق فلوريدا، الذي تعرض مرارا الى القصف، بحيث كان يتعذر عليهم النوم، ولذلك عمدوا الى اقامة حفلات الفلامنكو والبراندي وبنات الليل، كما وصف ذلك ايرنست همنغواي، ومع كثرة ذلك النوع من الحفلات، اخذ الطعام بالتناقص ووجد الصحفيون القليل لتناوله ما عدا بعض البقول الجافة، وفي مواجهتهم الاخطار اصبحوا اكثر احساسا بالناس العاديين.

وقد كتب ارثر كوستلر: ((أي واحد مر عبر جحيم مدريد يعينيه واعصابه وقلبه ومعدته ثم تظاهر ان يكون موضوعيا فهو كاذب».

وفي الحرب لم يحاول عدد من الصحفيين تسجيل الحقائق بشكل غير متميز، كأنما ليؤكدوا ما قاله جورج ارويل من ان التاريخ قد توقف في عام ١٩٣٦ وكل ما تلا ذلك فهو مجرد دعاية، وقد اضحى اولئك المراسلون باخلاقيات مهنتهم في سبيل القضية التي يؤمنون بها، وقد كتبوا اكاذيب مفيدة واحتجزوا تقارير مضرة، وعلى سبيل المثال كتب الشيوعي كلول كوكبيرن ان هناك تمردا في المغرب (الاسبانية) وذلك لاقناع الحكومة الفرنسية بفتح الحدود والسماح للجمهوريين بالحصول على شحنة مهمة من الاسلحة.

وتقبل همنغواي ايضا فكرة العنف والمخادعة الصحفية لمصلحة هزيمة فرانكو، ولكن صديقه الكاتب جون دوس باسوس احتج على ذلك الاسلوب قائلا: ما الفائدة من القتال لمصلحة الحريات المدنية، ان دمرت تلك الحريات في خلال العملية؟ ولم يكتب همنغواي عن ذلك الامر الا بعد انتهاء الحرب في روايته «لمن تقرع الاجراس)) حيث كتب ان كان كل شيء على ما يرام اساسا فلا يهم الكذب ولكنها مهمة فاسدة.

وكانت فعلا فاسدة على جانب الثوار الوطنيين اذ كانت التقارير تلاحق ويهدد مرسلها، ان بدا فيها شيء من الاستقلالية.

أما بالنسبة للمراسلين المنحازين الى فرانكو، ومنهم ويليام كارنيي (نيويورك تايمز) فقد اضافوا الكثير من الاكاذيب الى تقاريرهم عن مجازر ترتكب من قبل الشيوعيين وتغتصب النساء والراهبات وان الكنائس تنهب.

ويعتبر الكاتب بولن الذي فرض الرقابة على التقارير الصحفية من اشد المسؤولين كذبا في الحرب، اذ اعلن ان مدينة كورنكا العاصمة القديمة لاقليم الباسك لم يتم قصفها من الطائرات الالمانية، بل انها فجرت بواسطة مواطنيها بالديناميت، ولكن الحقيقة اعلنت بواسطة جورج ستير احد الاوائل الذين شهدوا الحدث في صحيفة التايمز ثم انتشر الخبر في العالم اجمع، وأدين الفاشيون بشدة.

لم يكن ستير مطلقا وحده في الحرب، كما اشار المؤلف بريستون، كان يحب اهالي الباسك الى الحد الذي عرض عليهم ان يقسم كذبا لصالحهم، وبدلا عنهم.

حياة مارلون براندو الطائشة و عمله الرائع

الكتاب: شخص ما

تأليف: ستيفان كانفَر

ترجمة: عادل العامل

كان ذلك في الليلة التي بدأ فيها عرض « عربة اسمها الرغبة »، كما جاء في مقال جيمي مكارتَر، حين أرسل تينيسي وليامز لرجله الشاب البارز برقيةً باعثة على النشوة : « من بولاك الملوّث بالشحم ستصل يوماً إلى الدانماركي الكئيب، ذلك أن لديك شيئاً يجعل المسرح عالماً ذا إمكانات عظيمة. «

و عند النظر إلى الوراء الآن، يمكن للمرء أن يصف ذلك حرفياً بأنهما السطران الأكثر صواباً اللذان كتبهما وليامز على الإطلاق. فأول شيء، يعكس « بولاك الملوث بالشحم « رؤيةً مشذّبة لما أنجزه مارلون براندو. فستانلي كوفالسكي رجلٌ فظ، سوقي، و مغتصب، لكن براندو منحه أيضاً تفكيراً بارعاً و ما يكفي من السحر بحيث أن جمهور مشاهدي المسرحية كانوا يندمجون في الضحك على بطلة وليامز، بلانش دَبويس، في كل ليلة. و قد ساعدت وسامة براندو أيضاً هنا : فبفضل الوجه الشاعري الذي يحمله في أعلى جسمه ذي العضلات البارزة، استطاع ستانلي الأخرق الذي يمثله براندو أن ينتقل إلى مستوى نصف إله من الأحياء الفقيرة.

و في النهاية، بالطّبع، لم يمثّل براندو أبداً هاملت، و لا استنفد « الامكانات العظيمة « التي لاحظها وليامز و كثيرون غيره. و مع أنه حرر أجيالاً من الممثلين حين أتى بحساسية حيوية لأدواره السينمائية المبكرة - تأوّج مسار الأربع سنوات في تصويره عام ١٩٥٤تيري مالوي، الملاكم السابق المكروب في (في الميناء On the Waterfront) . فإن براندو كان بالكاد قد بلغ ثلاثيناته قبل أن يدخل مرحلة ألفيس ببدلة القفز. فقد التقط مشاريع سيئة و قدّم أداءات لامبالية، مهما كانت التوهجات المدهشة التي يمكن أن تكون قد تناثرت فيها. و قد تضخم وزنه، و راح يرفض أن يتعلم النصوص الخاصة بأدواره. و بدا التمثيل نفسه سخيفاً بالنسبة له : « حياة متشرد «، نافعة في الأول كطريقة لدفع فواتير تضاؤله.

بعد أكثر من عقد من عمله الخائب، قام براندو بعودة مدهشة من النجاح و التألق، و أنجز (العرَّاب) و (التانغو الأخير في باريس) في عام ١٩٧٢. غير أن التفسخ الغريب سرعان ما عاد إليه. و لم يكن أحد بحاجة لرؤية وضعه مع لاري كنغ، أو مآسيه العائلية المتنوعة، أو « جزيرة الدكتور مورو «.

فلماذا يكون من النادر جداً أن يمتلك العظام من الناس القدرة على توجيه عبقريتهم؟ إن براندو ليس الموهبة الأولى التي تستدعي التساؤل - فقد سبقه معاصره أورسون ويلز على طريق الوعد اللامع، و العمل الناضج المتذبذب، و السمنة المدمرة للذات - غير أن ستيفان كانفَر يساعد في تأسيسه باعتباره المعروض من الدرجة الأولى على الدوام. فنجد أن سيرة الحياة الجديدة التي كتبها، « شخصٌ ما : حياة مارلون براندو الطائشة و عمله الرائع «، ليست شاملة مثل الي كتبها بيتر مانسو، ١،١٠٠ صفحة، و لا مضيئة على نحو مختصر ككتاب باتريشيا بوسوَرث القصّير الأحدث، و لا فاتنة كمذكرات براندو الخاصة. لكنها سيرة الحياة الجادة الأولى التي تظهر منذ موت براندو في عام ٢٠٠٤، و بالتالي الرواية الأولى التي تجمع في مكانٍ واحد القصة الكاملة لما يدعوه كانفَر علىً نحو مناسب « حياةً من الإفراط المضحك، و الانتصارات الغريبة، و الأحزان المرعبة. «

و لم يستغرق هذا الخلط وقتاً طويلاً ليظهر. فقد وصل براندو إلي نيو يورك في عام ١٩٤٣ في سن ١٩ عاماً، و هو مطرود من مدرسة عسكرية، و من أسرة كسيرة في الغرب الأوسط الأمريكي. (فأمه كانت ممثلة محبَطة، و سكيرة؛ و كان أبوه يهزأ به و يجرده من الإنسانية، كرد فعل على وضعه في الحرب، « هل هناك أي شيء آخر لا يمكنك الفشل فيه؟») لكن براندو وجد طريقه إلى صفوف ستيلا أدلَر الأسطورية، التي سرعان ما أعلنت أن « هذا الجرو سيكون ممثل أمريكا الأعظم. «

إن وقته في (المدرسة الجديدة) مهم و غير مفهوم بشكل واف. و مع إن موهبة براندو تُعامَل تكراراً كإثباتٍ للطريقة المتَّبعة، تقنية تعدين الذاكرة التي تبنّاها لي ستراسبيرغ من المخرج الروسي العظيم كونستانتين ستانيسلافسكي، فإن كانفير يبيّن أن براندو كان يستخف بستراسبيرغ. و لقد تعلّم من أدلَر أكثر بكثير، و لو أنها كانت تعرف أفضل من أن تسلّم بنجاحه. و المقصود بنظام ستانيسلافسكي مساعدة الممثلين على إيجاد الإلهام الذي لا يشعر به العباقرة مع أي نظام أبداً. فحتى و هو مبتديء، كان براندو يجعل الممثلين الأخرين يبدون و كأنهم يطلون بالرولات.

و مع راديكالية المباشرة الكارزمية لدى براندو التي كانت تبدو واضحةً بالنسبة للناس في برودوَي - و يدءاً من ١٩٥٠، بالنسبة لجمهور السينما - فإنه لم يكن الوحيد الذي يقوم باختراق كهذا. و حوالي الفترة نفسها، كان فن جَاكسون بولوك و موسيقى تشارلي باركَر تعكس مزيجاً مماثلاً من العرَضيّة و الشدة، التقنية و العفوية. كما أن حياته الشخصية صارت فوضى بما فيه الكفاية لمنافسة حيوات معاصريه من العمالقة، و هو يطوف نيو يورك ليلاً (خاصةً ضواحي أقلياتها)، و يُعنى بحيوان راكون صغير يدعى رَسل و يؤوي كل شيء يتحرك. لكن خلافاً لباركَر و بولوك - أو منافسيه الوحيدين في التمثيل في تلك السنوات، جيمس دين(الذي كان يوقّره) و مونتغمري كليفت - لم يكطن براندو يدمر نفسه، في الأقل ليس في وقت واحد. فقد ترك نفسه تتعرض للإذلال علىً يد ترومان كابوت في مقابلة عام ١٩٥٧ في النيو يوركَر؛ و أودع ماله بلا تبصّر لدى أبيه، الذي خسره؛ و جمّع من العشيقات و الأطفال (في الأقل ١١) ما يكفي لإبقائه بحاجة دائمة تقريباً إلى النقود.

إن من المألوف في هذه المرحلة استهجان الطرق التي تُجبر فيها الثقافة الأمريكية نجومها البارزين على العمل بخردة سيئة كي تبقى قادرةً على الوفاء بالتزاماتها. غير أن كانفير، الذي كتب سيرتي حياة غروتشو ماركس و لوسيل بول، يذكر أن براندو قام بخيارات غبية، برفضه فرص ظهور أولى لـ (كوميث الجليدي) و (ضحك حاضر) على مسرح برودوَي و (لورنس العرب) و (كاسيدي الرجولية و ولد رقصة الشمس) على الشاشة.

و قد جاء العرض الأكثر تعذيباً من جون غيلغَد Gielgud . فبعد تمثيله كاسيوس مقابل مارك أنطونيو لبراندو في فلم (يوليوس قيصر)، قام بدعوة الأمريكي الشاب للانضمام إليه و إلى بول سكوفيلد لموسم كامل في لندن. و هنا، في فاتحة براندو، و مع أفضل تعاونات يمكن تخيلها، كان السبيل الذي أدى إلى هاملت الذي طال انتظاره. و بدلاً من ذلك، قام بتمثيل (الواحد الوحشي) - و هو فلم أيقوني iconic، لكنه غير جدير بموهبته على نحو مضحك مع هذا.

و مهما كُان مقدار إساءة براندو كثيراً، فإن مواهبه تجاوزت هُراء أفلامه اللاحقة. لاحظوا، في (العرّاب)، كيف يتشمم وردةً، أو يضرب قطةً، أو ... و كان، إلى النهاية، « نفس الرجل بنفس القابلية الاستثنائية لتقمّص الشخصية، فقط أن تكون أكبر سناً و أثقل وزناً «، كما يكتب كانفير. و مع ابتلائه بذلك التضخم المحزن للشباب، « كان ما يزال يجعل المشاهدون يرون فيه براندو كله، رجل مجازفات، شخصاً منفلتاً قد أصبحت وجبات الطعام بالنسبة إليه ما كان الشراب القوي بالنسبة لوالديه. «

هنا، كما في أي مكانٍ آخر، يبدو كانفير مشبعاً بالاحترام نحو سعي رجله للتمثيل، كما يعبّر عنه براندو، « الطريقة التي لم يقم أحدٌ بها من قبل « . لكنه لا يلاطف براندو لتبنّيه قضايا الفهود السود، و الأمريكيين الأصليين، و بقية المضطهدين : « لم يكن لمساعيه بعيداً عن الشاشة التي قام بها لصالحهم أي تأثير دائم « . و هذه المحاولات لعمل الخير تستدعي مقارنةً واضحة بممثلٍ رائعٍ أفلح بالفعل في أن يكون مواطناً رائعاً : بول نيومان. و للأسف، هي مقارنة واضحة جداً إلى حد أن ريتشارد شيكل، كما يُقر كافير، قام على مسؤوليته آنذاك بعمل سير حياة لبراندوقبل عشرين عاماً تقريباً.

هنا يكمن القصور الحقيقي في كتاب كافير. فمع أنه يوفر رواية شاملة لحياة براندو، فإنه يُبرز القليل من التبصر الحيوي، بصرف النظر عما يمكن أن تكون عليه حداثة تشخيصاته - « اضطراب متحدٌ مقاوم «، « اضطراب شخصية نرجسية «، و البديل القديم « الولع الشفوي « . و يرى كانفير في الفصل الأخير أن المرض العقلي هو الذي كان قد لازمه لعقود من الزمن، ربما من الطفولة المبكرة «.

و يمكن القول إننا نستطيع أن نرى تراث براندو على كل مسرح و شاشة في العالم. و أنت تراه حين يتبع الممثلون الموهوبون حدسهم لإبداع شيء حيوي جديد و حين يتهندم الممثلون المستغرقون في الذات و ينغمسون بإفراط. و حتى في زمننا هذا، تجد ممثلين يمضون في اكتشاف ما كان يجده الموسيقيون حين اتبعوا تشارلي باركَر في إدمان الهيروين، أو ما تتعلمه أنت حين تختبر قضية أن ولدك يمكنه أن يرسم مثل بولوك عن طريق تركه يحاول فعلياً : فعباقرة مثل براندو يصيبون النفس و المادة معاً بطريقة تُطلق ومضةً ما لا تُضاهى، تُشعُّ كثيراً من السحر الشخصي، أو الكارزما، بحيث أنهم يتخذون خيارات ستبدو عنيدة كعناد الحمير من أي شخص آخر.

عن Internaional herald / Tribune

فلورنس نايتينجيل وحياة بطولية متن الخدمة للخير العام

الكتاب: فلورنس نايتينجيل المرأة وأسطورتها

التأليف: مارك بوستردج

ترجمة: هاجر العاني

حينما توفيت [فلورنس نايتينجيل] عن عمر التسعين عام ١٩١٠ قامت طبيبة بتوقيع الشهادة التي سمحت بان يتم تدوين الحدث وتسجيله، ففي عام ١٨٢٠ عام ولادة [نايتينجيل] لم تكن هناك طبيبات ولا تسجيل نظامي للولادات والوفيات ولا مؤسسات لتدريب الممرضات ، وكان الافتقار الى أي ربط محسوس بين النظافة الصحية والمرض يضمن بقاء معدلات الوفيات في المستشفيات المزدحمة والتي تتم صيانتها بشكل هزيل (بقاؤها) مرتفعة. وكان القليل من التغير قد حصل في الوقت الذي وصلت فيه [نايتينجيل] - التي كانت في منتصف الثلاثينيات من عمرها آنذاك – الى مستشفى [سكوتاري] في [كرايميا] في خريف عام ١٨٥٤ لتتولى مسؤولية مستشفى واسع متداع متحول الى ثكنات، وكان يتم جلب الجنود الجرحى والموتى بمعدل تجاوز احيانا (٧٠٠) جندي في يوم واحد ، ولم يكن المخدر متوفراً للعمليات الجراحية التي كان يتم القيام بها دون حجاب باستخدام المنشار ، وكانت الضمادات والملاءات شحيحة ، وعقب واحدة من زياراتها اليومية الى مخزن [بيورفيور] ذكرت [نايتينجيل]

:» لا سكاكين ولا أشوك ولا ملاعق ولا مقصات (لاجل حلاقة رؤوس الرجال ، الاحياء حرفياً...) ولا طست للغسل ولا مناشف ولا كلوريد الجير» ، و ربما قد تمت مقارنة مستشفى (سكوتاري) التي تصورتها زائرة واحدة تصوراً خيالياً كمشهد ليلي من [رامبرانت]١ (مقارنتها) بشكل ملائم بموسم في الجحيم. وحتى ان [ليتون ستراتشي] - وهو ناقد مبكر لاذع لتسيُّد [نايتينجيل] وما شجبه هو سر على انه « تدينها المتكلف الممل» – أعجب بإصلاحها البطولي ، ودراسة [مارك بوستردج] المتقنة تمكّننا من تثمين الشجاعة التي بها كانت [نايتينجيل] قد دحرت توقعات والديها التقليدية وفاقة شقيقة نزاعة الى التملُّك –هي [بارثينوب] – لمتابعة ما كانت عائلتها واندادها يعتبرونه مهنة غير مناسبة كلياً. ويتم ادراك ازدراء [نايتينجيل] للحياة الثرية لطبقتها الاجتماعية ادراكاً دقيقاً في وصفها للمعالجة المائية التجريبية الخاصة بالطبقات الاجتماعية العليا (التي كانت عائلتها مدمنة عليها) كعلاج « لتلك الامراض الغامضة التي يكون دخل كبير ووقت فراغ غير محدود يتم احتسابهما بشكل جيد جداً لاجل انتاجهما» ، ولم تشك [نايتينجيل] في عصر مبكر ، وهي موضوعة كمتربعة على كرسي حاكمة انجيلية ، (لم تشك) ابداً في أنها كان مقدراً لها ان تخدم الله من خلال الخدمة الفعلية في ميادين القتال – وكذلك متى ما تخلف الله عن الآخرين (تخدم) كعامل حث له – حيث احتجت (اعترضت) ذات مرة على الله القدير قائلة « يا الله أأنت واثق من انك تفعل كل ما تقوى عليه لاجل البوسنيين؟» ، غير ان الحياة الفعالة كانت كذلك طريقة [نايتينجيل] في التعامل مع سمة فيها وهي انها لاقت الايذاء والاذلال إذ منذ شبابها كانت ميالة الى الوقوع في حالات غريبة من نشوة الحلم (وهو موضوع كان لدى [بوستردج] القليل ليقوله عنه وبشكل مخيب للآمال ، الى ما بعد مسألة السجل الواقعي) . وبعد ذلك وعلى خطى [جيليان جيل] التي ظهرت سيرتها الذاتية العائلية الممتازة بعنوان(آل نايتينجيل)عام ٢٠٠٤ يعتمد[بوستردج] كثيراً على مجموعة ضخمة من اوراق العائلة غير المنشورة ، وهو يرسم صورة زاهية ومستحوذة على الانتباه لتقدّم [نايتينجيل] السنوي المهيب من (كرومفورد) في قلب (ديربيشاير) الصناعية (من تموز الى تشرين الاول) الى الموطن المطبوع بشكل كاذب بطابع عصر الملكة [اليزابيث] الاولى (ملكة انكلترا) وذلك في (هامبشاير) (من تشرين الثاني إلى آذار) وهكذا دواليك وذلك لتكييف يوميات أم اجتماعية والي (لندن) ، وكان هذا هو النظام الممل ملاً ساحقاً والذي بسببه نجحت [فلورنس] بمساعدة اصدقاء متعاطفين معها وبلا اعاقة من زوج – أشهر رفض منها كان لـ [ريتشارد مونكتون ميلنيس] وهو شاعر وسياسي وجامع هائل للاعمال الاباحية – (نجحت) في انجاز هروبها ، ولدى عودتها الى انكلترا بصفتها « بطلة كرايميا» استغلت مرضاً شخصياً (حالة مضعفة يعرِّفها [بوستردج] ونظراؤه على انها الحمى المتموجة) لصدّ عائلتها عن مهاجمتها لكي تكون حرة لتركز على عمل الاصلاح الصحي والطبي الذي اصبحت مشهورة به عن استحقاق .

ويكتب [بوستردج] بشكل مضيء ومجتهد عن انجازات [فلورنس] كمصلحة وعيبه الوحيد كونه (على حد تعبير [هنري جيمس] الذي اقتبسه هو نفسه) «لا يعرف اين يتوقف» ، ولا نحتاج في الواقع الى معرفة ان [فلورنس] فيما كانت تدير مستشفاها الاول في لندن ابتاعت رداءين احدهما أسود والآخر رمادي بلغت كلفتهما – على التوالي – (١٢ر١) و(٨ر١) جنيه استرليني ، وعلى الرغم من هذا فعند خلق أسطورة [نايتينجيل] يظهر [بوستردج] انها آسرة ، ولم يكن لـ [كرايميا] بطل لذا فقد قامت بطلة بملء الثغرة ، وعقب نجاح [هولمان هانت] الاخير برسمه الخيالي للمسيح بصفته (نور العالم) بدأت التشبيهات بالظهور بكل من الكلمات والصور للممرضة [نايتينجيل] وهي تحمل الى الاعلى نوراً لطرد اليأس ، وتم صب آنية [ساتفوردشاير] الفخارية بصورتها الملائكية وتم انشاد اغان عن «عندليب عذب» بحلول عام ١٨٥٦ بمعدل ثلاث اغان في الاسبوع ، وتم عقد المقارنات بشكل منتظم مع (جان دارك)، ولا يعود الفضل الى [نايتينجيل] في تحاشي اغراءات الشهرة. اما سنواتها الخمسون الاخيرة فكانت مكرَّسة للاصلاح الصحي في كل من بريطانيا والهند حيث ساعدت على احداث ثورة في تعليم الاناث والرعاية الصحية ، وبقيت طاقتها لاتنضب تقريباً الى النهاية ، وفي عام ١٨٩٥ وفي سن الخامسة والسبعين كان قلقها ينصب على ان ايامها كانت تتسرب حيث تقول: « ثمة الكثير للعيش من اجله» ، وعاشت القليل من النساء حياتهن بشكل كامل ولم تعش اي منهن – كما يجادل [بوستردج] جدالاً مقنعاً – بتفانٍ اكثر للقضية الكبرى الخاصة بالخير العام.

سر الجينات المتعلقة بالوفاء للحياة الزوجية

الكتاب: تقارير الأكاديمية الأمريكية للعلوم

تأليف: مجموعة من العلماء الأمريكيين والسويديين

ترجمة:إيمان قاسم ذيبان

لطالما كانت الحياة الزوجية منهلاً للعلماء والباحثين، وآخر كتاب ظهر بصددها أوضح، وعبر شرح مفصل ومدعم بالتجارب العلاقة بين الوفاء للحياة الزوجية والجينات الوراثية.

منذ عدة سنوات اقتفى الباحثون اثر الجينات المتعلقة بالعلاقات العاطفية مع الناس، لا سيما الزوجية منها. وعُرف هذا البحث منذ العام ١٩٩٣ عندما أجريتَ عدة تجارب على فئران الحقل. وعبر مراقبة هذه الحيوانات، بين العلماء الأمريكان، بأن الوفاء في الحياة الزوجية يعتمد بالأساس على نسبة الذكورة في هرمون الضغط، وهو هرمون ذو قابلية على التصرف السريع لاتصاله المباشر بالدماغ. وتساءلوا فيما إذا كان لهذا الهرمون تأثير على الإنسان أيضا.كما أوضح العالمان (هاس والرم ولارست ويستبرج) وزملائهم وعبر تعقد مسألة الوفاء، بأن الأثر الجيني الوراثي يستحق إن يتبع في هذه المهمة.

ومن دون شك، تتحكم نسبة المخاطر والمصادفات واللقاءات والمحرمات الدينية والاجتماعية(قليلة كانت أم كثيرة) بالتصرفات العاطفية للإنسان. لكن هذا الأمر لا يمنعنا من القول بأن كل هذه الأشياء تتبادل وتتغير تبعاً لأسباب جينية.

وبغية التعرف على هذه الأسباب، قارن الباحثون جينات المستقبلين لهرمون الضغط لدى (٩٠٠) رجل يعيشون حياة زوجية مستقرة لا تقل عن الخمس سنوات وإباء لأطفال ومراهقين. فضلاً عن ذلك، وافق هؤلاء المتطوعون على إبداء إجابات صريحة في استفتاء مفصل متعلق بحياتهم الزوجية وبمساعدتهم اثبت العلماء وجود علاقة متبادلة بين الجينات الوراثية وسلوك الحياة الزوجية. وآية ذلك إن الشكل الجيني المعروف (٣٣٤) والكامل لدى المتطوعين كان أكثر بمرتين من أولئك الذين يمرون بصعوبات وتأزم في حياتهم الزوجية وأكثر بمرتين من أولئك العازفين عن الزواج.

وبينت (كاترين بيلزوتغ) التي تدير فريق انس يرم في مصنع الصور والرسوم الخاصة بالعقل في مدينة تور في فرنسا بأن هذه الدراسة ذات النطاق الواسع قد أعدت بشكل ممتاز على الرغم من عدم المعرفة بأولياتها. كما ترى أن الاقتفاء الجديد للجينات هو عملية مثيرة بحد ذاتها. ويظهر هذا واضحاً لدى العزاب غير الراغبين في الزواج على الإطلاق. و أكد العالم (لارس وبستيرج) تشابه الفعاليات العقلية المرتبطة بسلوك الاقتران لدى الإنسان مع تلك الناشئة لدى فئران الحقل و العمل جار حالياً على إعادة تقليد هذه النتائج وإخضاع الإنسان لتأثير هرمون الضغط باستخدام الحقن.

وفي مجلة (طبيعة)،أقرت دراسة علمية بأن أي زيادة بسيطة في جينات المستقبل لهذا الهرمون كفيلة بأحداث تغيير جذري في سلوك الاقتران لدى هذه الحيوانات، واستندوا في نظريتهم هذه إلى نوعين منها:

الأول هي الفئران التي لا تملك بديهياً أي اهتمام بالزواج الأحادي وتدعى ميغروتوس بوسيلفا نيكوس.

النوع الثاني تلك التي تملك حصيلة تجارب معدة مسبقاً في هذا المضمار وتدعى (م.اوكروغارستر). ولم يمر وقت طويل حتى بانت النتيجة بوضوح: فقد تحولت فئران النوع الأول التي لا تألف الحياة الزوجية على الإطلاق، شيئاً فشيئاً إلى قاضمات متفانيات ومخلصات تعود إلى جحورها مساء كل يوم. هكذا ستكون النتائج حتمية فيما لو طبقت على آدم. ربما قد عرفنا الان سر اهتمام النساء، والمتزوجات على وجه الخصوص، بهذا الكتاب.

عن صحيفة الفيكارو الفرنسية